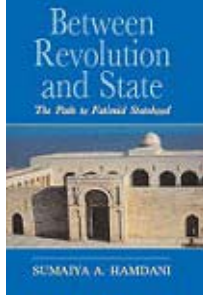




معهد الدراسات الإسماعيلية



## بين الثورة والدولة: الطريق لبناء الدولة الفاطمية بقلم سمية أ. حمداني

نيويورك ولندن: إ. ب. تورس بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية، 2006  
ISBN 978 1 85043 885 3  
دليل قراءة بقلم شافتلو غلامادوف من قسم علاقات الجماعات، 2008

إن النظر للمذهب الشيعي كمجرد نتيجة للإنقسام السياسي وكأنعكاس للتصلب العقائدي في الإسلام هو جهلٌ بالأسباب الأخرى لإنقسام الإمبراطورية في عهد العباسيين واعتباراً بأن حركة بلورة العقائد في الإسلام حركة مباشرة أكملت في القرن الرابع للهجرة/ العاشر الميلادي.

بين الثورة والدولة: الطريق لبناء الدولة الفاطمية  
الصفحة السابعة عشر

### المقدمة

عُرف القاضي النعمان بأنه كان "أعظم القضاة الإسماعيليين في جميع العصور" وهو من غير شك من أعظم الشخصيات الفذة في التاريخ الإسماعيلي. خدم القاضي النعمان الخلفاء- الأئمة الأربعة الأوائل في مجالات متنوعة منذ سنة 312 هجري/ 924 ميلادي وحتى وفاته عام 363 هجري/ 974 ميلادي. قدم خلال نصف قرن من الخدمة للفاطميين العديد من الأعمال القانونية ومن بينها دعائم الإسلام (أركان الإسلام) بتكليف من الخليفة الإمام الفاطمي المعز لدين الله (توفي عام 365 هجري/ 975 ميلادي)، والذي أصبح المصدر الرسمي للتشريع في الدولة الفاطمية وبقي السلطة العظمى في القانون الإسماعيلي للإسماعيليين الطيبين بما في ذلك الإسماعيليين البهرة في الهند اليوم. بالإضافة لأعماله في القانون، كتب القاضي النعمان العديد من الأعمال التاريخية ومنها التفسير الباطني (التأويل) للنص المقدس، والسير الذاتية للأئمة- الخلفاء الفاطميين، والبروتوكول، ومجموعة واسعة من المواضيع الأخرى.

أنج النعمان معظم أعماله خلال فترة حكم المعز لدين الله. اعتبر المعز النعمان عالماً يتعين عليه تقديم المعرفة (حمداني، 64). أعاد النعمان صياغة تعاليم ما قبل العصر الفاطمي الإسماعيلي التي عبرت عن الأفكار الثورية الخاصة وقام بإعدادها لخدمة أغراض الدولة الفاطمية المتعددة المذاهب وسياساتها الشاملة. كان هذا تحولاً كبيراً رافق الانتقال من فترة السתר الثورية السابقة إلى عصر الظهور. حدث هذا التحول خلال فترة شمال أفريقيا من التاريخ الفاطمي (297-909/969).

رغم أن هذه الفترة الحرجة قد لفتت انتباه العديد من العلماء وكتبت عنها العديد من المقالات والكتب مؤخراً إلا أنه لم يركز أحد على دور القاضي النعمان في التحول الفاطمي من حركة ثورية بإتجاه إقامة الدولة. تعالج سمية حمداني هذا الموضوع في عملها هذا السهل القراءة والمدرّس بشكل جيد، بين الثورة والدولة: الطريق لبناء الدولة الفاطمية، من خلال استكشاف الدور الهام للظاهر عند القاضي النعمان في "المرحلة الانتقالية من الثورة (الدعوة) إلى الدولة أو من حركة المعارضة الشيعية إلى إمبراطورية إسلامية" (حمداني الصفحة السادسة)

والعشرون). بين الثورة والدولة هو تحليلات نافذة لمؤلفات النعمان دعائم الإسلام وأصول المذاهب وكتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة وكتاب المجالس والمسائرات وكتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة (حمداني، الصفحة السادسة والعشرون). تدرس حمداني في هذه الأعمال نطاق ودور الفاطميين في إطار السياق الأوسع للتاريخ والفكر الإسلامي.

## بنية ومحتوى الكتاب

يتألف الكتاب من خمسة فصول مع مقدمة وخاتمة. تعطي المقدمة 'الفاطميون والقرن الإسماعيلي الشيعي' للقراء نظرة عامة عن الوسط السياسي والفكري للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والتي صنفها بعض المفكرين كفترة تجزء سياسي تحت حكم العباسيين وفترة تمزق في المجتمع الإسلامي. لا تقبل حمداني هذا التفسير وتجادل بأن جزء من هذا الرأي هو نتيجة لتركيز العلماء على تقديم الإسلام السني كمعيار وبالتالي تهيمش الإسلام الشيعي. تجادل بأنه إذا تم اعتبار الشيعية مجرد نتيجة للتجزئة السياسية فإن ذلك يعني التغاضي عن الأسباب الأخرى الهامة لتفكك الإمبراطورية العباسية. كذلك أعربت أيضاً عن التحدي لوجهة النظر التي ترى أن عملية البلورة الإيديولوجية في الإسلام قد اكتملت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وتجادل بأن التقديس للدين والتقاليد القانونية تطورت على مدى فترة أطول من الزمن.

تصارع الفاطميون مع العباسيين على قيادة العالم الإسلامي. يوفر كتاب بين الثورة والدولة من خلال بحثه في قيام الدولة الفاطمية طرْحاً يمكن من إعادة النظر وتقييم دور الشيعة ضمن التفسيرات المتعددة للإسلام. يتضح من هذا المنظور أن التجربة الفاطمية أتت تنويعاً لعملية تاريخية.

بعد العرض المختصر لأصول المذهب الشيعي وتحليلها في تطور سياقات سياسية ودينية، تتجه المؤلفة لمناقشة أعمال مفكري العصر الحديث عن الفاطميين. تجادل الكاتبة أنه على الرغم من أن العديد من العلماء قد نشروا كتباً حول تاريخ الجماعات الإسماعيلية تكمل معرفتنا بعقائد الفاطميين ونظامهم الاقتصادي ومجتمعهم ومؤسستهم ومنظمتهم العسكرية... إلخ، إلا أنها تتجنب تقييم مكان أو دور الشيعة الإسماعيلية ضمن السياق الأوسع للتاريخ والفكر الإسلامي. تصرح حمداني أنه على الرغم من أن العديد من النصوص الفاطمية قد تم اكتشافها وخصص لها العديد من الدراسات إلا أنه "لم يوجه اهتمام كبير لتقييمها كجزء من الجهود الفاطمية المبذولة لتوطيد السلطة وتحقيق الانتقال من الحالة الثورية، أو من حركة شيعية معارضة لحكم إمبراطورية إسلامية" (حمداني، الصفحة السادسة والعشرون).

توضح المؤلفة في نهاية المقدمة إلى أنه في الفترة الثورية اعتمدت الدعوة الفاطمية على العقيدة الشيعية للأئمة في دور السترة. لكن بعد وصولها إلى السلطة احتاجت الدولة الفاطمية إلى خطابات تشريعية جديدة نتج عنها إعادة صياغة المذهب الإسماعيلي للإمامة أو لقيادة الأئمة الفاطميين من أهل البيت، بهدف توفير أساس عالمي للحكم الفاطمي. تكرر الكاتبة القول بأن القاضي النعمان كان من شرع هذه الخطابات.

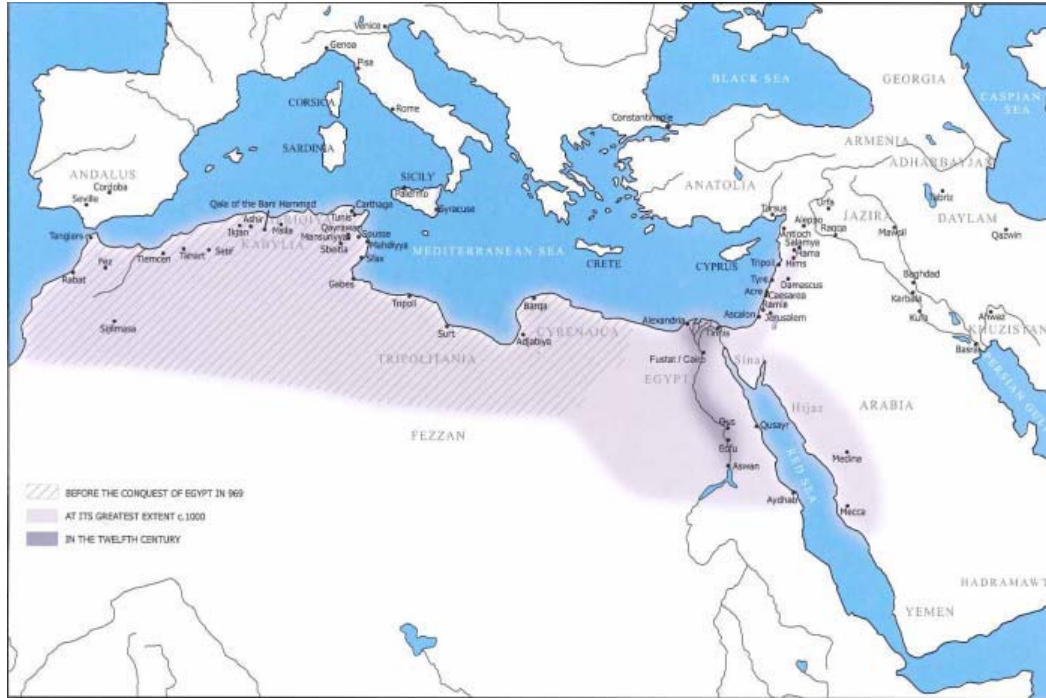
## من الثورة إلى الدولة

يستعرض الفصل الأول "من الثورة إلى الدولة" أصول وتاريخ الإسماعيليين الأوائل حتى إقامة الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. توفر هذه الملحة العامة الخلفية الضرورية لفهم الظروف التي أدت إلى ظهور الأدب الظاهري في فترة شمال أفريقيا. يسرد هذا الفصل معلومات عن الأحداث الرئيسية التي أوصلت الفاطميين إلى السلطة. يبدأ الفصل مع أزمة الخلافة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق في عام 148 هجري/ 765 ميلادي. نُذكرنا حمداني بأن المجموعة التي أيدت إمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق قد ظهرت في نهاية المطاف كجماعة إسماعيلية وليدة. بالإعتماد على معلومات علماء مشهورين في التاريخ الإسماعيلي فإن الكاتبة تعرض التاريخ اللاحق للإسماعيليين الذين استمروا في ظروف غامضة قبل إستلام عبد الله المهدي الإمامة في 286 هجري / 899 ميلادي وأعلن كأول خليفة فاطمي في عام 297 هجري / 909 ميلادي.

تدرس الكاتبة، في مرحلة لاحقة من هذا الفصل، أعمال الداعي الإسماعيلي أبو عبد الله الشيعي في شمال أفريقيا مع التركيز على إنجازاته السياسية والدينية. يشير الفصل بإيجاز إلى خروج الإمام المهدي من سورية إلى المغرب، حيث وُضع في الإقامة الجبرية في سجلماسة، ثم إنقاذه وتأسيسه للدولة الفاطمية 296 هجري / 909 ميلادي في رقادة، في تونس الحالية.

هناك عدد من الأسباب لنجاح الفاطميين في شمال أفريقيا يتم دراستها في الأجزاء المتبقية من هذا الفصل، و منها التدابير التي اتخذها الداعي أبو عبد الله لإقناع شعوب المنطقة في تبني قضيته.

تبين الكاتبة حمداني، بإستخدامها عدداً من المصادر السنية، كيف أن وجهاء السنة في المدن الرئيسية مثل القيروان قد باركوا وهنأوا الإمام عبد الله المهدي في اعتلائه عرش الخلافة وطلبوا منه الحماية. غير أن الزعماء السنة المحليين، والذين كانوا قد عهدوا وضعاً أفضل لهم تحت حكم سلالة الأغالبة الذين حكموا المنطقة قبل الفاطميين، قد شعروا بالتهديد من قبل الفاطميين وخصوصاً أن الإمام كان مصدر السلطة الدينية والسياسية لذلك أظهروا العداء للفاطميين. تبني الفاطميون سياسة دينية أكثر تعددية كونهم كانوا حكام المنطقة بأغليبتها السنية وهم ينتمون لأقلية دينية. تلاحظ حمداني أن الفاطميين أسسوا مبدأ الحرية الدينية وطرحوا خطاباً ظاهرياً عاماً ومقبولاً لدى الغالبية السنية. إلا أن المبادئ الباطنية، في الوقت ذاته، واصلت انتشارها لدى الجماعة الإسماعيلية.



خريطة شمال أفريقية وجنوب شرق آسيا تظهر المواقع التي تم ذكرها في النص بالإضافة للمملكة الفاطمية في كتاب فنون المدينة الظاهرة: الفن الإسلامي والعمارة في شمال أفريقية الفاطمية ومصر ( *Arts of the City Victorious: Islamic Art and Architecture in Fatimid North Africa and Egypt* )، بقلم جوناثان م بلوم، صفحة 2

### من الباطن إلى الظاهر

يبين الفصل الثاني البيئة الاجتماعية و السياسية التي أغنت كتابات النعمان. تراجع حمداني بشكل موجز فترة الستر، والتي بدأت مع غياب الإمام محمد ابن اسماعيل، وتناقش ضرورة ظهور الإمام قبل التعرف على العديد من التحديات التي كان على الإمام عبد الله المهدي أن يواجهها بعد استلامه السلطة. تم التعامل مع هذه التحديات من خلال إجراء تغييرات طفيفة على التوقعات التبشيرية وكشف الأنساب والتخلص من المعارضة السياسية والدينية.

ينتقل الفصل لاستكشاف العديد من المناقشات بين الجماعات السنية بفرعيها المالكي والحنفي وبين أعضاء من الدعوة الإسماعيلية. تشير الكاتبة بأن الدعاة في سياق تأكيدهم على شرعية الفاطميين لم يشيروا في نقاشاتهم إلى فترة الستر ولكنهم إعتدوا على الأحاديث النبوية المقبولة من قبل الجميع والقرآن الكريم والأحداث التاريخية مثل غدير خم. تدل المناقشات على أن الدعوة "وجدت أنه من الضروري بناء دراساتها حول قضايا وأسئلة

أصول الفقه وتاريخ أول دولة إسلامية، بشكل مختلف عن الاهتمامات الروحية والباطنية التي انعكست على سبيل المثال في كتاب العالم والغلام لجعفر بن منصور اليماني من أجل ضمان قبول السلطة السياسية للدولة الفاطمية" (حمداني، 46).

ننظر في الفصول الثلاثة المقبلة إلى أعمال النعمان الظاهرية. توضح الكاتبة بأن هذه الأعمال "تمثل ثلاثة أنواع من الكتابات الأدبية ذات الطبيعة الظاهرة... كتاب الدعائم... كمثال عن الفقه، كتاب المجالس... هو مجموعة من الأحاديث... وكتاب الهمة والذي يمثل دليلاً من واجبات وأصول طاعة الإمام" (حمداني، 53). يوفر لنا كل منها نظرة للطريقة التي تمت بها معالجة القضايا الباطنية في السياق الظاهري.

### الإطار الظاهري

يبحث الفصل الثالث المواضيع المركزية في كتاب دعائم الإسلام للنعمان، والتي تعبر عن سياسة الفاطميين في المصالحة والتوفيق الفكري بين السنة و الشيعة بهدف التوصل إلى توافق في الآراء حول شرعية الدولة الفاطمية. تستعرض حمداني محاولات الإمام الخليفة الفاطمي المعز الذي شكل لجان لاستيعاب المنشقين داخل طائفته الإسماعيلية. يمثل الفصل المتعلق بالولاية "تتويجاً لتطور أفكار النعمان القانونية ويعكس... الانتقال من ثورة الشيعة إلى الدولة الإسلامية الكبرى" (حمداني، 63).

يستخدم النعمان المناقشات المتأصلة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدلة التاريخية وأحاديث للإمام علي بن أبي طالب ومحمد الباقر وجعفر الصادق لمناقشة حق الإمام علي بن أبي طالب وذريته لقيادة الجماعة. فعلى سبيل المثال، يقوم تعريف النعمان للإيمان، والذي يتألف من النية بالإضافة للقيام بأعمال وشعائر العقيدة، على سلطة الإمام جعفر الصادق والذي تعلق حمداني على أنه "قد اكتسب سمعة بين علماء السنة في عصره كما فعل في أوساط المحيطين به وداخل التراث الشيعي القانوني" (حمداني، 75). وتذهب حمداني لتقول بأن "اعتماد النعمان على تعاليم الباقر والصادق قد ساعدت على قبول الدعائم في التقاليد القانونية الشيعية الإثنا عشرية... وكذلك كسب احترام السنة" (حمداني، 75).

يتم شرح المبادئ الشيعية كالحب الشديد لأسرة النبي بالاعتماد على سلطة الأئمة الباقر والصادق وبالمثل المتأصلة في الآيات القرآنية. فعلى سبيل المثال، الآية القرآنية 42:23 "قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" تفسر على أنها دليل نصي على تفضيل آل النبي، أهل البيت (حمداني، 80-81).

في نهاية الفصل تبحث المؤلفة في انتقادات النعمان للفقه السني ومحاولاته برهان تفوق القانون الإسماعيلي الذي يقوم على القرآن والأحاديث النبوية المتعلقة بتفويض أهل البيت والتفسيرات التي أدلى بها الأئمة الحكام. يستشهد النعمان بالأحاديث ليدعم النقاشات حول تفوق معرفة الإمام في تفسير القانون. وبالمثل فإنه يقدم أحاديث من علماء السنة، كالحنفي بن أبي ليلى، الذي أقر بأن آراء علي بن أبي طالب هي السلطة العليا مقابل آراء الآخرين من أصحاب النبي محمد. (حمداني، 84).

عملت الدعائم على إثبات شرعية السيادة الفاطمية، "من خلال حوارات يمكن اعتمادها تاريخياً ومذهبياً أمام جمهور أكبر بما في ذلك السنة" (حمداني، 92).

### النماذج الظاهرية

يستطلع الفصل الرابع العاملين التاريخيين للنعمان: الإفتتاح وكتاب المجالس. يبحث كتاب الإفتتاح انتشار الدعوة الفاطمية وغزوات الداعي أبو عبد الله الشيعي في شمال أفريقيا حتى إقامة الدولة الفاطمية في عام 909/297. يروي كتاب المجالس أحداث البلاط في عهد الإمام المعز المبنية على تجارب النعمان الشخصية. تقارن حمداني أسلوب كتاب الإفتتاح مع أدب الفتوح السني وتجري مقارنات بين كتاب المجالس وبين تراث أخبار سير الأئمة في أدب الشيعة الإثنا عشرية. تشير الكاتبة إلى أن النعمان كان قد "خط مساراً بين الأدب السني والشيعي وتراث المؤرخين، معدلاً ومطوراً منها المساهمات الإسماعيلية الهامة في التاريخ الإسلامي" (حمداني، 93).

تتابع المؤلفة القول بأن أدب الفتوح السني تعمه "البطولية والوجدانية" ويقدم نموذجاً عن فضائل الرسول وأصحابه والمسلمين الأوائل (حمداني، 95). في هذا السياق يُشكل كتاب الإفتتاح للنعمان مثلاً عن أعمال الفتوح الإسماعيلية وشرحاً عن الخصال البطولية للشيعة وسجلاً عن الفتوح الفاطمية. تقول حمداني بأنه "مثلما شكلت

الفتوح المبكرة نموذجاً عن الإنتصار الإسلامي"، "كذلك أيضاً كان كتاب الإفتتاح نموذجاً عن إنتصار الشيعة الإسماعيلية" (حمداني، 95). ومع ذلك، فإن الإفتتاح يختلف عن أدب الفتوح السنية من نواح عديدة وفي الحقيقة يشكل "تحريره (النعمان) للإفتتاح من الأدوات والبنية المرفقة والقصة التاريخية القائمة على الحديث" أحد الاختلافات الكبيرة (حمداني، 95). تلاحظ المؤلفة في هذه المرحلة أن الكتاب يختلف عن الأدب الشيعي الإثنا عشري من حيث المضمون. تقول بأنه "في كثير من الأحيان تم استبعادهم من السلطة وتعرضوا للظلم، لذلك فقد كانوا (الشيعة الإثنا عشرية) في كتاباتهم أكثر ميلاً للكتابة عن سير المقدسين عندهم بدلاً عن التاريخ لإحياء ذكرى أئمتهم وأتباع ملتهم والتأكيد عليها" (حمداني، 96). يسهم الإفتتاح من جهة أخرى في بناء صورة تاريخية للأئمة.

بالنسبة للقاضي النعمان، فإن غرضه من كتابة كتاب المجالس هو "نقل بعض من المعرفة والحكمة من الأئمة كما خَبرها [النعمان] وليوصل ما سمع وماشاهد ومافهم لأجيال المستقبل" (حمداني، 98). تجادل حمداني بأن المجالس ليس مجرد سير للمقدسين، ولكن التقارير التاريخية الواردة فيه "هي بقصد الإحتفال بالقادة المتمثلة بالخليفة –الإمام أو لإنشاء نموذج عن الحاكم العادل المتمثل في الإمام" (حمداني، 98). يصف كتاب المجالس حياة وعهد الإمام المعز ومدى علمه وحكمته والتي تفسر الدين وتمتد للأمور الدنيوية وحتى العلمية. يستكشف الكتاب قضايا تتعلق بالعلاقة بين المعز ودعوته، والتي وجد القاضي النعمان بأن عقائدها متطرفة في بعض الأحيان. بالإضافة إلى ذلك يكشف العمل جوانب العلاقة بين النعمان والمعز. وأهم من ذلك، يوفر كتاب المجالس السجلات والتقارير التي تصف علاقة المعز مع الأمويين في إسبانيا، والعباسيين والبيزنطيين، والذين تنافسوا جميعاً للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط. تستنتج حمداني ما يلي :

الصورة التي تزودها المجالس عن الحياة السياسية للمعز هي صورة مبهرة وتتناسب مع الحاكم الإسلامي العادل المثالي: منتصر لكن متسامح، عليم وحكيم، قادر على تقديم التوجيه السياسي والمعنوي المتمثل بالنبي وآله. التعابير التقليدية والغامضة في الغالب عن سير المقدسين عند الإثنا عشرية، والتي يغلب عليها دور الإمام الغائب في الخلاص وفي الآخرة، موجودة هنا بصورة بشرية وسهلة الوصول متمثلة بشخصية تاريخية حقيقة. (حمداني، 111).



جامعة القيروان، من كتاب فنون المدينة الظاهرة: الفن الإسلامي والعمارة في شمال أفريقيا الفاطمية ومصر (Arts of the City Victorious: Islamic Art and Architecture in Fatimid North Africa and Egypt)، بقلم جوناثان م بلوم، صفحة 20.

تعكس إنجازات الفاطميين في السلطة التحول من سير المقدسين إلى التاريخ ومن حركة ثورية إلى دولة إسلامية كبرى.

## النظام الظاهري

يناقش الفصل الخامس نظرية النظام الاجتماعي في كتاب الهمة للنعمان، ومعااهدات الحكم في كتاب الجهاد، والذي يشكل المجلد الأول من الدعائم. يشكل كتاب الهمة مخططاً للأسس الفكرية التي تحكم العلاقة بين الإمام-الخليفة الفاطمي ورعاياه. وتتمحور حول طاعة الإمام ضمن الإطار الديني-السياسي وتناقش مسؤوليات الجماعات المختلفة من أتباع الإمام. يشمل العمل المواضيع المتعلقة بالمراسيم التي تحكم السلوك في حضرة الإمام خلال المحافل والمآدب والمناسبات الخاصة، الخ. لقد ألف النعمان عمله لأن "الأئمة قد جعلوا أنفسهم ظاهرين" وأنه "من الضروري لأتباعهم أن يمتلكوا كتاباً يرشددهم عن كيفية التصرف بشكل لائق يعكس الاحترام والولاء" (حمداني، 115).

من أكثر الخصائص أهمية لهذا العمل هو بلورة النظام الاجتماعي الذي لا يعطي أي أفضلية للإسماعيليين على حساب الأغلبية غير الإسماعيلية. في الواقع، كما توضح حمداني، فقد كان غرض النعمان "أن يعلم الأتباع ومواطني الدولة الشكل اللائق من الولاء للإمام" (حمداني، 116).

وفقاً للنعمان فإن الأئمة يستحقون الأمانة (هنا: العُشر)، فما خصه الله يجب أن يعاد إلى أصحابه الشرعيين (القرآن. 4:58، 2:283، 8:27) (حمداني، 116). الأمانة هي ملك الأئمة، وهي جزء من مكافأة الله للبشرية، والتي يقبلها الأئمة من الناس نيابة عن الله. وهذا ينطبق على غير الإسماعيليين أيضاً. "واضحاً حكم الإمام ضمن السنة النبوية"، تقول حمداني:

إنها محاولة لـ... إعادة تعريف الطاعة، محولاً إياها من قضية إكراه إلى فعل ديني (أن تطيع الإمام فذلك إطاعة لله ولرسوله)، وبذلك تدفع الأمانة حتى من قبل غير الأتباع ليقروا بإمامة الفاطميين (حمداني، 117).

كان أفراد الجماعة الإسماعيلية يأخذون على أنفسهم أيضاً ميثاق الولاء للإمام. وقد شملت واجباتهم إبلاغ الإمام بصدق عن أنفسهم، والتماس الشفاعة. من بين الكثير من الخصال الحسنة للأتباع الحقيقيين أن يتحلوا بالصبر والتواضع، والتسامح والتحمل وينبغي أن يظهروا دعم كل منهم للآخر. إن حالتهم لا تؤهلهم لأي معاملة مميزة ولا لأي امتيازات على المسلمين غير الإسماعيليين، أوحى اليهود والمسيحيين، والمعروفين بأهل الذمة (الجماعات المحمية) (حمداني، 121). يدل هذا على أن الإسماعيليين وغير الإسماعيليين كانوا بمنزلة متساوية عند الدولة ويشير هذا بوضوح لترك المثاليات الإسماعيلية الثورية في مرحلة ما قبل الفاطميين. وأضاف "احتاجت الحركة من أجل تجميع القوة والسلطة للفاطميين بالطبع لتحديد مصالح الدولة عند الجماعات الغير إسماعيلية بالإضافة لممثليهم" (حمداني، 121).

لم يعطى أقارب الإمام أو رجال الدولة أو أعضاء تنظيم الدعوة أي استثناءات. لقد خضعوا للمساءلة وأظهروا طاعة كاملة وولاء للأئمة. إن هذا النوع من الوصف في كتاب الهمة يمثل دليلاً آخر على التغييرات التي حدثت.

عرفت الجماعات الإسماعيلية نفسها قبل تأسيس الدولة الفاطمية، من خلال الآليات مثل دار الهجرة، على أنها جماعة ذات حكم ذاتي ومختلفة عن الآخرين. تم التخلي عن الحكم الذاتي عند تأسيس الدولة، عندما أضحت الحدود المادية والدينية السياسية بين الإسماعيليين وغيرهم محجوبة (حمداني، 123).

معااهدات الحكم (وتدعى العهد) في كتاب الجهاد تعكس بشكل مماثل عمليات التحول من الثورة إلى الدولة وقد خللت كذلك في الأجزاء المتبقية من الفصل. استخدمت مستندات مثل العهد "كمخطط للحكم في المناطق التي مُنح الحكام فيها سلطات أكثر وقوة إشراف أكبر" (حمداني، 126). لقد كانت هذه هي الحالة في مصر عندما حكمها القائد الفاطمي جوهر الصقلي لمدة أربع سنوات بينما كان المعز في أفريقيا. "يحض العهد لمن يقع عليه من ملك أو حاكم أن ينفذ سياسات الحكم الأخلاقي من خلال الإستماع للرعية وقيادتهم بحكمة ورحمة وعدل" (حمداني، 126). "ينصَح (على من يقع عليه العهد) بأن يعتمد على دعم الناس ( فيظهر أمامهم كمؤيد للأعمال الصالحة ويتحلى بضبط النفس والتواضع ويسعى لإرضائهم قبل خدمته)" (حمداني، 127-128).

من بين الأشياء الأخرى التي ينصح بها العهدُ الحاكم أن يخفف العبء عن الناس من خلال إعفائهم من الضرائب وأن يصغي لحاجة الفقراء وأن يتواجد إذا أراد الناس مقابلته وأن يتجنب الحروب الغير ضرورية وسفك الدماء. توضح حمداني بأن سياسات جوهر كحاكم لمصر تبدو وقد عكست نصائح العهد. فعلى سبيل المثال: بالإضافة لضمانه سلامة المصريين وعد أن يحمي مصر من الإمبراطورية البيزنطية كما وعد بأن يصلح الحج ويلغي

الضرائب الغير قانونية ويحسن قيمة العملة ويبني جوامع جديدة ويرمم القديمة ويتمسك بالشعائر الدينية المشتركة بين كل المسلمين (حمداني، 129). بذلك فإن العهد يعطي مخططاً لتعزيز "الإزدهار والرفاه للدولة وجميع أفراد الشعب بدلاً من أن يطبق ذلك على أتباع عقيدة محددة فقط أو كونه صيغة إيديولوجية للحكام" (حمداني، 130).

### النتيجة: بين الظاهر والباطن

تذكر حمداني بأنها عندما ركزت على الأعمال الظاهرية للنعمان في كتاب بين الثورة والدولة أنها لم تقصد بذلك أن تهمش أهمية الأعمال الباطنية أو أهمية الخطاب الباطني عند الإسماعيليين الشيعة بشكل عام. في الحقيقة تشير الكاتبة إلى أن "الوجهين الباطني والروحي للإسماعيلية استمررا بالإرتباط بالدعوة على امتداد الفترة الفاطمية" في مجالس الحكمة والتي سهلت انتشار العلم الباطني بين الجماعة الإسماعيلية (حمداني، 131). بعد وفاة النعمان في عام 363 هجري/ 974 ميلادي قدم دعاة بارزون من أمثال حميد الدين الكرمانى (توفي بعد 411 هجري/ 1020 ميلادي) والمؤيد في الدين الشيرازي (توفي عام 470 هجري/ 1078 ميلادي) وناصر خسرو (توفي بعد 462 هجري/ 1070 ميلادي) مساهمات هامة في الفكر الإسماعيلي الباطني.

يوضح كتاب بين الثورة والدولة كيف تطلبت عملية التحول من الدعوة إلى الدولة ظهور وتطور الخطاب الظاهري في العقائد الإسماعيلية الفاطمية. تطلبت المجتمعات متعددة المذاهب التي وجد الخلفاء الأئمة الفاطميون أنفسهم يحكمونها منهم ترك نموذج دار الهجرة في الفترة الثورية حتى يؤسسوا أرضية مشتركة مع غير الإسماعيليين وخاصة السنة.

لقد أصبح ذلك ممكناً بالقدر الذي تولاه القاضي النعمان، حيث كان قادراً بشكل خاص أن ينجز بأعماله الإنتقال من مرحلة الأقلية، التي كانت سائدة بالفترة السابقة ومبنية على العقائد الباطنية، لمرحلة الأغلبية التي حافظت على الظاهر والباطن كوجهين ضروريين مكملين للإسماعيلية الشيعية وبشكل أوسع للعقيدة الإسلامية ككل (حمداني، 132).

يشكل كتاب بين الثورة والدولة مساهمة هامة عن التاريخ الفاطمي وإضافة قيمة للدراسات الإسماعيلية والإسلامية على حد سواء.



مدخل جامع المهدية الذي أتم بناؤه عام 921، من كتاب فنون المدينة الطاهرة: الفن الإسلامي والعمارة في شمال أفريقية الفاطمية ومصر (Arts of the City Victorious: Islamic Art and Architecture in Fatimid North Africa and Egypt)، بقلم جوناثان م بلوم، صفحة 27.